الدِّيانة الإغريقيَّة اليونانيَّة

مقدمة:

المجتمع اليوناني القديم لم يكن مُجتمعاً مغلقاً تنحصر قيمته الحضاريَّة في المنطقة التي قام بها على قسم من الشَّاطئ الشَّمالي للبحر المتوسط بحيث لا تتعدى هذه المنطقة لتتأثَّر بغيرها أو تؤثر في غيرها إلاَّ بشكل عابر أو جانبي. وإنَّما كان هذا المجتمع منفتحاً على غيره من المجتمعات التي سبقته إلى ازدهار النَّشاط الحضاري والتي ظهرت في منطقة الشَّرق الأدنى في "مصر" و "سوريا" و "وادي الرَّافدين" (العراق حالياً)... وقد تأثَّر بهذه الحضارات الكبيرة السَّابقة له، خاصة في الجانب المعتقدي[1]. فما مجمل تاريخه، وما وقعه الدِّيني؟

أوَّلاً– مجمل تاريخ اليونان القديم:

تُعرف بلاد "اليونان" القديمة باسم (هيلاس)، وهي تشمل ما يُعرف باسم شبه "جزيرة البلقان" حديثاً، ومجموعة الجزر المنتشرة في "بحر إيجة"، وكذلك المدن اليونانيَّة المنتشرة على ساحل شبه "جزيرة آسيا الصُّغرى". وقد أطلق "اليونان" على أنفسهم تسمية "الهيلينيين"، أمَّا الرُّمان فهم الذين أطلقوا عليهم تسمية "الإغريق"، أمَّا تسميتهم باليونانيين فمرجعه إلى اللغات السَّامية القديمة[2].

وينتمي "الإغريق" إلى القبائل الهندُ أوروبيَّة الذين كانوا يعيشون في وسط "أوروبا" قرب "بحر قزوين"[3]، وفدوا ودخلوا شبه "جزيرة البلقان" سنة 2000 ق. م، وقضوا ما يقارب من ألف(1000) سنة في الاستقرار في شبه الجزيرة[4].

وكانت أهم القبائل التي وفدت إلى هذه المنطقة أربعُ قبائل كبرى مُختلفة خلقاً ولهجة: "الأيوليون"، و"الدُّوريون" في الشَّمال، و"الآخيون" و"الأيونيون" في الجنوب[5]. وكانوا عند قدومهم متبربرين لا يعرفون كتابة ولا زراعة، وكانوا رعاة، ولا بد أنَّهم تعلموا الكثير من حضارة "كريت"[6] فأسسوا المدن وأخضعوا الملوك، وأخذوا المعتقدات الدِّينيَّة الكريتيَّة وخرافاتها[7].

انتشر "الإغريق" في البحار، وانتشرت الحضارة الإغريقيَّة بفضل "مقدونيا"، فبعدما تغلَّبت على المدن الإغريقيَّة كلها بفضل ملكها فيليب الثَّاني (360 ق. م – 336ق. م) ثمَّ ابنه "الإسكندر الأكبر" الذي هزم الفرس واستولى على بلادهم والبلاد التي تقع تحت حكمهم – فاستولى على "مصر" و"سوريا" وغيرهما من الولايـــات الشَّرقيَّة – حيث عمل

---

[1] – لطفي عبد الوهاب يحي: **اليونان مقدِّمة في التَّاريخ الحضاري، ط.1**، دار النَّهضة العربيَّة، بيروت، 2003م، ص.17.

[2] – مُحمَّد إسماعيل شحاته و عاصم أحمد حسين: **المدخل إلى تاريخ الإغريق، ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1983م، ص.3.

[3] – المرجع نفسه، ص.72.

[4] – ج. إدجار و مُحمَّد شفيق غربال، **التَّاريخ القديم، ط.8**، مطبعة المعارف، القاهرة، 1931م، ص.82.

[5] – يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة اليونانيَّة، ط.3**، دار القلم، بيروت، 1974م، ص.1.

[6] – تنسب إلى إحدى جزر في بحر الأرخبيل من بقايا أرض ممتدَّة من أسيا الصُّغرى لأوروبا. وربما كانت "كريت" أقدم مملكة بحريَّة في التَّاريخ القديم، حيث ازدهرت حضارتها فيما قبل الألف الثَّالثة قبل الميلاد، وقد ظلَّت حضارة "كريت" مجهولة مُدَّة طويلة ولم يُكشف عنها إلاَّ في أوائل القرن العشرين سنة 1900م بفضل العالم الإنجليزي (أرثر أفانز). أمَّا سُكَّان هذه الجزيرة والذين أقاموا هذه الحضارة فالرَّأي السَّائد أنَّهم من الجنس الإفريقي الأبيض أو من جنس البحر الأبيض المتوسط وليست لهم صلة جنسيَّة بالإغريق المعروفين في التَّاريخ، وكانوا على اتصال بالحضارة المصريَّة فنقلوا عنها أشياء كثيرة،... وقد أطلقوا بعض المؤرخين على هذه الحضارة اسم الحضارة المينويَّة نسبة إلى (مينو) أحد ملوك الجزيرة. **ينظر:** ج. إدجار و مُحمَّد شفيق غربال، **التَّاريخ القديم**، المرجع السَّابق، ص.77 – 78.

[7] – المرجع نفسه، ص.83.

"الإسكندر الأكبر" على نشر الثَّقافة الإغريقيَّة في جميع بلدان الشَّرق القديم[1].

وقد توفي "الإسكندر الأكبر" سنة 223ق. م، وانقسمت إمبراطوريته إلى أقسام وكانت أعظم الوحدات التي ظلَّت سليمة هي: "مصر"، و"سوريا"، و"مقدونيا"، وقد حكم "مصر" البطالمة، و"سوريا" السُّلوقيون، أمَّا "مقدونيا" فقد حكمها ملوك من "مقدونيا".

وقد عمل كثيرون من ملوك هذه الدُّول على حدة على اعتبار نفسه الوريث للإسكندر قاصدين بذلك استرداد مُلكه وضمِّه إليهم، ولكن أحداً منهم لم يوفق. وظلَّ الحال على ما هو عليه إلى أنْ تمت سيطرة الرُّومان على هذه البلاد[2].

ثانياً– الدِّيانة اليونانيَّة القديمة:

الدَّارس للديانة اليونانيَّة القديمة يقف على أنواع كثيرة من المعبودات، «فقد أنشأ الخيال الدِّيني اليوناني مجموعة من الأساطير تدورُ حول مجموعة كبيرة من الآلهة، فكان كلُّ شيء وكلُّ قوَّة في الأرض أو السَّماء، وكلُّ نعمة، أو نقمة، وكلُّ صفة – ولو كانت رذيلة – من صفات الإنسان تمثِّلُ إلهاً في صورة بشريَّة عادة، وليس ثمَّة دين يقرِّب آلهته من الآدميين قرب آلهة "اليونان"، وكان لكلِّ حرفة، ولكلِّ مهنة، ولكلِّ فنٍّ إله خاص، وكان عند "اليونان" فضلاً عن هذا شياطين ونساء مُجنَّحة، وآلهة انتقام وجنٍ وأرباب بشعة المنظر والآهات ذوات صوت شجي يسلب العقول»[3].

هذا إلى جانب ما يُسمى بالأديان السِّريَّة التي انتشرت بين اليونانيين، وكان لها تأثيرها عليهم وعلى طقوسهم.

1)– صور الدِّيانة اليونانيَّة:

يمكن تقسيمها إلى ثلاثُ صورٍ رئيسيَّة، هي:

1 – 1 – الصُّورة الأولى (عبادة الطَّبيعة والأسلاف "الآلهة الأرضيَّة"): حفلت الدِّيانة اليونانيَّة – في هذه الصُّورة – بأنواع كثيرة من المعبودات الطَّبيعيَّة، «مظاهر الطَّبيعة، وأعضاء التَّناسل، والطَّواطم، والأسلاف[4]»، ومزجوا هذه العبادات جميعاً بطلاسم السِّحر والشَّعوذة[5].

1 – 1 – 1 – عبادة مظاهر الطَّبيعة: عبد اليونانيين القدماء (السَّماء) وما فيها، فكان إله السَّماء المسمَّى (أورانوس) مرَّة، و(زيوس) مرَّة أخرى، هو مُرسل السَّحاب ومُسقط الأمطار، وجامع الرَّعد. كما عبد اليونانيين أيضاً (إله الشَّمس) (هيلوس) ولكنه كان من الآلهة الصُّغرى. وكان لهم آلهة (الأرض) المسماة (جي أو جيا)[6]، وكان لهم آلهة أخرى أخرى تسمَّى آلهة ما تحت الأرض، وكانت أكثر الآلهة رهبة لدى اليونانيين في المغارات والشُّقوق وأمثالها من الفتحات

---

[1] – ج. إدجار و مُحمَّد شفيق غربال، **التَّاريخ القديم**، المرجع السَّابق، ص.106 – 111. **وينظر أيضاً**: د. ج. دبورج: **تراث العالم القديم**، تر: زكي سوس، مُرا: يحي الخشاب و مُحمَّد صقر خفاجة، **ج.1، ط.1**، دار الكرنك للنشر، القاهرة، 1965م، ص.207 – 211.

[2] – أحمد علي عجيبة: **دراسات في الأديان الوثنيَّة القديمة، ط.1**، دار الآفاق العربيَّة، القاهرة، 2004م، ص.147.

[3] – المرجع نفسه، ص.148.

[4] – **عبادة الأسلاف:** يُقصد بها بوجه عام عبادة أرواح الموتى وتورد الدِّراسات الاجتماعيَّة المعاصرة دلائل واقعيَّة على أنَّ هذه العبادة ما زالت قائمة عند كثير من الجماعات المتأخِّر وخاصة في القبائل السُّودانيَّة النِّيليَّة. **ينظر**: نخبة من المتخصِّصين: **مُعجم العلوم الاجتماعيَّة، ط.1**، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، القاهرة، 1975م، ص.383.

[5] – عباس محمود العقاد: **الأعمال الكاملة، مج.9، ط.1**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978م، ص.23 – 24.

[6] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.149.

السُّفلى، وكانوا يعبدونها ليلاً عبادة مصحوبة بأناشيد وطقوس تنمُّ عن التَّوبة والهلع، وكانت هذه القوى غير البشريَّة هي المعبودات

الحقيقيَّة الأولى لبلاد "اليونان"[1].

ولم تقتصر عبادة "اليونان" – في صورتها الأولى – على مظاهر الطَّبيعة السَّماويَّة والأرضيَّة بل تعدَّت إلى الإنسان، فعبدت فيه رمز الإخصاب وهو أعضاء التَّناسل فيه.

يقول "ول ديورانت": «وإذا كان أعجب قوى الطَّبيعة و أقواها هي قوة التَّكاثر، فقد كان طبيعياً أنْ يعبد "اليونان" رمزي الإخصاب الرَّئيسيين في الرَّجل والمرأة إلى جانب عبادتهم خصب التُّربة، ولهذا كان قضيب الرُّجل وهو رمز الإنتاج يظهر في الطُّقوس»[2].

1 – 1 – 2 – عبادة الحيوان: عظَّم اليونانيون بعض الحيوانات وعبدوها، وذلك بسبب قُدرات بعض الحيوانات فمثلاً «كان الثَّور حيواناً مقدَّساً لقوته وقدرته، وكان الخنزير مُقدَّساً لكثرة تناسله، وكان يُقدَّم إليه القرابين، كذلك قدَّس اليونان الأفعى لأنَّها في ظنِّهم لا تموت أو لأنَّها ترمز إلى القدرة على التَّناسل والإنتاج»[3].

1 – 1 – 3 – عبادة الأسلاف: كانت عبادة الأسلاف أو الأموات من المعتقدات الشَّائعة بين "اليونان" القدماء، وذلك أنَّ «الموتى في اعتقادهم كائنات مُقدَّسة وقد خلعوا عليهم ما كانوا يجدونه أكثر الألقاب احتراماً، فكانوا يسمونهم الطَّيبين والقديسين والسُّعداء، وكانوا يُكنُّونَ لهم كلَّ التَّبجيل وكان كلَّ ميتٍ في فكرهم إله، ولم يكن هذا التَّأليه امتيازاً مقصوراً على عظمة الرِّجال، إذْ أنَّه لم يكن هناك تمييز بين الأموات. بل لم يكن من الضَّروري أنْ يكون المرء من ذوي الفضيلة، فكان الخبيثُ يصبح إلهاً على قدم المساواة مع أهل الخير، وإنَّما يحتفظ في ذلك الوجود بكلِّ ميول الشَّرِّ الذي كان نصيبه في الحياة الأولى»[4].

وقد اعتبر العلماء أنَّ هذه الآلهة هي الدِّيانات الأولى للشعب اليوناني، وعلَّلوا تعدُّدها وتنوعها بأنَّه راجع إلى اختلاف القبائل التي تكوَّن منها الشَّعب اليوناني. إذْ «إنَّ العناصر المختلفة التي تألَّف منها الشَّعب اليوناني قد أسهمت بعوامل مُختلفة في تكوين الكل المعقد للديانة اليونانيَّة في العصور الأولى»[5].

1 – 2 – الصُّورة الثَّانية (عبادة الآلهة الأوليمبيَّة): تعتبر الآلهة الأوليمبيَّة أشهر معتقدات "اليونان" القدماء، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً بينهم، فلقد ورد ذكرها بالتَّفصيل في القصائد الهومريَّة[6] (الإلياذة و الأوديسيا) .

---

[1] – وِل وايريل ديورانت: **قصة الحضارة**، المرجع السَّابق، **مج.2، ج.1**، ص.325.

[2] – المرجع نفسه، ص.323.

[3] – نفسه، ص.324 – 325.

[4] – فوستيل دي كولانج: **المدينة العتيقة (دراسة لعبادة الإغريق والرُّومان وشرعهم وأنظمتهم)**، تر: عباس بيومي، مُرا: عبد الحميد الدَّاواخلي، تق: منيرة كروان، **ط.1**، المجلس الأعلى للثَّقافة، القاهرة، 2007م، ص21 – 22.

[5] – هـ. ج. روز: **الدِّيانة اليونانيَّة**، تر: رمزي عبده جرجس، **ط.1**، دار نهضة مصر، القاهرة، 1965م، ص.112 – 114.

[6] – الأسعار الهومريَّة أقدم ما وصل إلينا من شواهد الفكر اليوناني وهي تتألف من قصتين كبيرتين هما: الإلياذة والأوديسيا وتنسبان إلى "هوميروس" – منذ زمن بعيد – غير أنَّ الشَّك قديم في حقيقته وفي نسبة القصيدتين لشاعر واحد. والرَّأي الرَّاجح عند كثيرين هو أنَّ "هومير" اسم يُطلق على مجموعة من الشُّعراء لا على شاعر واحد، وبناءً على هذا الرَّأي تكون الإلياذة والأوديسيا قد استغرقتا نحو مائتي سنة حتى كملتا، ويحدِّدُ بعضهم هذه الفترة ما بين سنتي 750ق. م و 500ق. م. **ينظر:** يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة اليونانيَّة**، المرجع السَّابق، ص.2. **وينظر أيضاً:** برتراند رسل: **تاريخ الفلسفة الغربيَّة – الكتاب الأوَّل الفلسفة القديمة –**، تر: زكي نجيب محمود، **ج.1، ط.3**، دار المعارف

والآلهة الأوليمبيَّة – كما في الإلياذة والأوديسيا – يؤلفون حكومة ملكيَّة وعلى رأسها (زيوس)، وعددهم إثنا عشر إلهاً، وكلهم في صورِ بشريَّة إلاَّ أنَّ سائلاً عجيباً يجري في عروقهم فيكفل لهم الخلود، وهم أقوى من الأبطال وأسرع حركة، يظهرون للناس أو يختفون كما يشاءون، يسكون قصور في السَّماء فخمةً يقضون فيها حياة ناعمة في ربيع مُقيم... يتفرقون أحزاباً ويتدخلون في منازعات البشر، ويتشاتمون ويتضاربون ،يخونون ويغدرون ولا يرعون من البشر إلاَّ من يتقرب إليهم كيفما كانت أخلاقه[1].

فالآلهة في قصائد (هومير) بشريَّة إلى أقصى الحدود لا تختلف عن الإنسان إلاَّ في كونها خالدة مزودة بقوَّة خارقة للطبيعة، أما من الوجهة الخَلقيَّة فليس فيها ما يدعو إلى الاستحسان[2].

وهذا يعني أنَّ هذه الآلهة، بالرَّغم من تشابهها الشَّديد مع البشر في كلِّ شيءٍ إلاَّ أنهم يمتازون عنهم بصيفتين، هما:

- **الأولى: الخلود،** فهم على الرُّغم من حدوثهم، إلاَّ أنهم مُخلَّدون لا نهاية لوجودهم.
- **الثَّانية: القدرة،** ففي استطاعتهم أنْ يأتوا بما عجز عن القيام به بنو الإنسان، ولذلك عهد إليهم بالإشراف على شؤون الكون فاختص كلُّ واحدٍ منهم بمظهر أو بطائفة من مظاهره[3].

وهذه الآلهة الأوليمبيَّة التي تخيَّلها "اليونان" تسكن فوق قمَّة جبل "أوليمبوس"، وتتألف من اثني عشر إلهاً، سبعة (7) ذكور وخمس(5) إلهات إناث[4]، وهم كالتَّالي:

١)– زيوس (على رأس الآلهة)، **٢)–** هيرا (زوج زيوس الشَّرعيَّة، وهي آلهة الزَّواج)[5]، **٣)–** بوسيدون (إله البحر)، **٤)–** هيفايستوس (إله النَّار، وهو ابن زيوس وهيرا)، يظهر في أشعار (هومير) كإله مُحاط بكلِّ مظاهر الإجلال والتَّوقير[6]، **٥)–** أبلوللون (من أشهر آلهة اليونان، وهو إله متعدِّد الاختصاصات، أقيمت له معابد كثيرة، ولم يكن هناك معبد يفوقه في الذُّيوع والانتشار والشُّهرة)[7]، **٦)–** أرتميس (إلهة الصَّيد، وهي أخت لأبوللون وبنت زيوس)[8]، **٧)–** آريس (إله الحرب، وهو ابن زيوس وهيرا)[9]، **٨)–** هرميس (ابن زيوس رب الأرباب، هو رسول الآلهة، ووصف بأنَّه إله الخطابة والبيان والتِّجارة واللصوص!)[10]، **٩)–** أثينا (بنت زيوس، وهي إلهة الحكمة والعقل والفنون)[1]، **١٠)–** أفروديتي (إله الحبِّ والجمال، والخصب والتَّناسل)[2]، **١١)–** هستيا (أخت زيوس، وهي إلهة الموقد، رمز الحياة العائليَّة وما يسودها من سلام

بمصر، القاهرة، 1976م، ص.33. **وينظر أيضاً:** برتراند رسل: «حكمة الغرب»، تر: فؤاد زكريا، **سلسلة عالم المعرفة، ع.62، ج.1**، تصدر عن المجلس الوطني للثَّقافة والفنون والآداب – الكويت، 1983م، ص.26.

[1] – يوسف كرم: المرجع السَّابق، ص.3.

[2] – برتراند رسل: **تاريخ الفلسفة الغربيَّة**، المرجع السَّابق، ص.35.

[3] – علي عبد الواحد وافي: **الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان، ط.2**، دار نهضة مصر، القاهرة، 1979م، ص.11.

[4] – وقد تمدج معهم الإلهة "ديميتير" فيصبح عددهم ثلاثة عشر إلهاً. **ينظر:** مُحمَّد صقر و عبد اللطيف أحمد علي: **أساطير اليونان، ط.1**، دار النَّهضة العربيَّة، القاهرة، 1959م، ص.7.

[5] – علي عبد الواحد وافي: المرجع السَّابق، ص.14.

[6] – مُحمَّد صقر و عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السَّابق، ص.57.

[7] – المرجع نفسه، ص.58.

[8] – نفسه، ص.19.

[9] – نفسه، ص.81

[10] – علي عبد الواحد وافي: المرجع السَّابق، ص.16.

وتضامن وهناء، لذلك كانت هستيا تحمي العائلة وترعاها)[3]، **١٢**)– هاديس (شقيق زيوس، كان إله العالم السُّفلي إله الموت لا الموت نفسه)[4].

لقد انتشرت هذه الآلهة في بلاد اليونان انتشاراً واسعاً، واكتسبت شهرة كبيرة. وقد اعتبرت هذه الآلهة في المنزلة الأولى بين الآلهة اليونانيَّة ولذلك كان انتشاره بين الأغنياء، بينما الصُّورة الأولى والتي كانت تُسمى بالآلهة الأرضيَّة، اعتبرت في المنزلة الثَّانية ولذلك كان أكثر انتشارها بين الفقراء[5]. وفي هذا المضمار يتضح أن المجتمع الإغريقي كان مجتمعاً طبقياً في واقع ممارسته الدِّينيَّة والمعتقد، واعتقد بتعدُّد الآلهة، إلى جانب أنَّه صوَّر هذه الآلهة بصور بشريَّة ووصفها بأوصاف بشريَّة[6].

1 – 3 – الصُّورة الثَّالثة (الدِّيانات السِّريَّة): ظهرت وانتشرت في عصر الاستنارة أيام "بركليز"[7]، وهذا راجع إلى زيادة الاتصالات بين اليونانيين والشَّرقيين، ذلك أنَّ تأثير الشَّرقيين على اليونانيين في هذه الصُّورة واضح، فالسِّريَّة كانت سمة معظم الدِّيانات الشَّرقيَّة، وحينما زادت العلاقات والاتصالات بينهم وبين اليونانيين أخذ اليونانيون هذه الصِّفة لديانتهم وطقوسهم. فما هي الدِّيانات السِّريَّة؟ وما أسسها؟

1 – 3 – 1 – الدِّيانات السِّريَّة: هي ديانات تقوم على الاحتفالات الدِّينيَّة السِّريَّة، وفيها تُقام الطُّقوس والعبادات السِّريَّة التي ترمز إلى موت الإله وبعثه، والهدف منها نوال المطلعين والقائمين بهذه الطُّقوس الخلاص والنَّجاة والتَّطلع إلى الحياة الأبديَّة[8].

يقول "ول ديورنت" في تعريفها: «هي احتفال سريٌّ يُكشَفُ فيه عن رموز مُقدَّسة وتُقَدَّمُ فيه طقوس رمزيَّة لا يَتعبَّدُ بها إلاَّ المطلعون على أسرارها، وكانت هذه الطُّقوس في العادة تمثل عذاب إله من الآلهة وموته وبعثه، أو تحي ذكرى هذا العذاب والبعث والموت بطريقة شبه مسرحيَّة، وتَعِدُ أولئك المطلعين لحياة أبديَّة خالدة»[9].

وهناك من عرفها قائلاً أنَّ: «ديانات الأسرار قديمة لم يكن يسمح بحضور اجتماعاتها إلاَّ للأعضاء الدَّاخلين المطلعين على أسرارها، وهذه الدِّيانات السِّريَّة كانت تقوم على طقوس وعبادات تدور حول فكرة الخلاص والفداء والذَّبيحة أو الوليمة المقدَّسة التي كان الأعضاء يشتركون فيها»[10].

---

[1] – المرجع نفسه، ص.19.

[2] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.157.

[3] – مُحمَّد صقر و عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السَّابق، ص.32.

[4] – المرجع نفسه، ص.7.

[5] – وِل وايريل ديورانت: المرجع السَّابق، **مج.2، ج.1**، ص.341.

[6] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.158.

[7] – **بركليز**: في اللغة اليونانية القديمة يعني (المحاط بالمجد)، ولد سنة 495ق.م، وقد كان بركليز رجل سياسي محنك وخطيب بالغ. وقد أصبح فيما بعد صاحب السلطة العليا سنة 460ق. م على جميع قوى أثينا المادية والروحية في خلال عصر عظمتها ومجدها، توفي سنة 429 ق.م. **ينظر**: بركليس /https://www.marefa.org. تاريخ الولوج: 2021/01/23.

[8] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.159.

[9] – وِل وايريل ديورانت: المرجع السَّابق، **مج.2، ج.1**، ص.341.

[10] – جورج سارتون: **تاريخ العلم. العلم والحضارة الهللنستينيَّة في القرون الثَّلاثة الأخيرة قبل الميلاد**، تر: محمود زايد وآخرون، **ج.5، ط.1**، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م، ص.38. الهامش

وهذا يعني أنَّ مكوِّنات هذه الدِّيانة هي الطُّقوس والعبادات السِّريَّة التي تدور حول الاعتقاد بفكرة الخلاص والفداء، وترمز إلى نجاة الإنسان من الخطايا، كما نجد في هذه الدِّيانات ما يشبه المعموديَّة عند المسيحيين، فالشَّخص الذي يُريد الانضمام إلى جماعة هذه الدِّيانات يقوم بطقس التَّطهير من الخطايا، ثمَّ إنَّ هناك طقوساً أخرى تشبه العشاء الرَّباني عند المسيحيين، وهو ما يُسمى بطقس الاشتراك في المائدة المقدَّسة التي يشترك فيها الإله[1].

1 – 3 – 2 – الأسس التي تقوم عليها الدِّيانات السِّريَّة: يقول أحد الباحثين في هذا المجال: «والدِّيانات السِّريَّة كُلُّها تشترك في عناصر أساسيَّة لا تختلف فيها ديانتان. هذه العناصر تتلخص في أنَّ الإنسان عنصراً إلهيًّا جاء من الإله في السَّماء، ولكن هذا العنصر السَّامي سُجن في سجن المادة في جسم الإنسان، سُجن ليتعذب ويتألم، ولا بد له من التَّحرر من هذا السِّجن ليصعد إلى مصدره الذي جاء منه. ولا توجد طريقة لذلك سوى الاجتياز في اختبار الإله العميق، ذلك الاختيار هو الموت والقيامة، ولكن قبل ذلك الاختبار عليه أنْ يقوم ببعض الطُّقوس فهناك طقس للتطهير من الخطايا كالمعموديَّة، ثمَّ هناك فريضة أخرى هي الأكل مع الإله والاشتراك معه في مائدة مقدَّسة واحدة هي مائدة الإله ثمَّ بعد ذلك الدُّخول في ذلك الاختبار السِّري اختبار الموت مع الإله»[2].

ثمَّ يقول: «فآلهة الدِّيانات السِّريَّة هي آلهة تشترك مع البشر في الألم وهي تموت ثمَّ تحيا من الموت مرَّة أخرى، ويجتاز المؤمن بها ذلك الاختبار – الموت والقيامة — وبذلك يُقال عنه بأنَّه وُلد من جديد أو أنَّه جاز اختبار الولادة الجديدة، وهكذا يضمن لنفسه الحياة الخالدة، وبهذه الطُّقوس يُحاول الإنسان أنْ يتخلص من الشُّعور بالخطية والتَّعاسة ثمَّ يضمن لنفسه الخلود أو الحياة اللانهائيَّة»[3]. وعليه يتضح أنَّ المعاني التي تدور حولها هذه الدِّيانات هي الخلاص من الخطايا، وضمان النَّجاة، والسَّعادة في الحياة الخالدة الأبديَّة.

1 – 3 – 3 – أسباب انتشار الأديان السِّريَّة بين اليونانيين: بالرَّغم من أنَّ الآلهة الأوليمبيَّة انتشرت انتشاراً كبيراً بين اليونانيين وفي معظم البلاد اليونانيَّة، فقد كانت كلَّ مدينة يونانيَّة تحتوي على معابد للآلهة الأوليمبيَّة، وتنتخب واحداً منها كحارس لها تخصُّه بولائها[4]، بالرُّغم من ذلك ظهرت الدِّيانات السِّريَّة بين اليونانيين وأخذت طريقها للانتشار بينهم وكان لهذا الانتشار بعض الأسباب أهمها ما يلي:

١)– حاجة الأفراد إلى دين يجمعُ بين طبقات المجتمع ويجد العبيد والنِّساء فيه مكان لهم. ذلك أنَّ الآلهة الأوليمبيَّة كانت قاصرة على الأغنياء، ولم يجد بعض طبقات المجتمع مكان لهم في الدِّيانة الأوليمبيَّة، ولذلك كانت الحاجة ماسة إلى دين يجمع بين طبقات المجتمع ويسمح للجميع بالاشتراك في طقوس واحدة وديانة واحدة. يقول أرنولد توينبي: «ويمكننا الاستدلال على عظم الحاجة التي كان يشعر بها العبيد والنِّساء إزاء التَّعويض النَّفسي من تمسُّكهم الشَّديد بمواصلة إحياء طقوس (عبادة الطَّبيعة) تلك العبادة التي طغت عليها أوَّل الأمر عبادة مجموعة الآلهة الأوليمبيَّة، بيـــــد أنَّ

---

[1] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.160.

[2] – فهيم عزيز: **المدخل إلى العهد الجديد، ط.1**، دار الثَّقافة المسيحيَّة، القاهرة، 1980م، ص.67.

[3] – المرجع نفسه، ص.68

[4] – رالف لنتون: **شجرة الحضارة (قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التَّاريخ)**، تر: أحمد فخري، **ج.2، ط.1**، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، 2000م، ص.295.

عبادة الطَّبيعة المستهجنة هذه لم تشبع النَّهم بالقدر الكافي. وهكذا أدت الحاجة التي ظلَّت ماثلة إلى ازدهار الدِّيانات السِّريَّة»[1].

٢)– حاجة كافة الطَّبقات إلى دين عام يجمع بينهم في صورة اجتماعيَّة بعيداً عن الدِّيانة القبليَّة أو الإقليميَّة. يقول أرنولد توينبي: «إنَّ كافة طبقات المجتمع كانت في حاجة لأن تحيا جانباً من حياتها في عالم أوسع نطاقاً، وفي إطار اجتماعي له صفة العموميَّة الدُّوليَّة لا الإقليميَّة المحدودة الضَّيقة»[2].

٣)– حاجة الأفراد إلى دين يُشبع رغبتهم الرُّوحيَّة ويُقربهم إلى الإله ويضمن لهم النَّجاة والأمان. يقول أرنولد توينبي: «لقد كانت الطَّبقات اليونانيَّة جميعها تفتقر إلى التَّجربة الدِّينيَّة وإلى الإشباع الدِّيني اللذين لم يتيسرا لها سواء عن طريق عبادة المدينة الدَّولة أو عبادة مجموعة من الآلهة الأوليمبيَّة»[3].

لقد لاحظ اليونانيون التَّعارض البارز بين شقاء الإنسان وسعادة الآلهة كما يُصوَّرُ في الآلهة الأوليمبيَّة، فبدا لهم أنَّه قد يكون بالإمكان إيجاد علاقة بالآلهة غير علاقة العبد بالسَّيد، علاقة تقارب فاتحاد، تكفل للإنسان المشاركة في السَّعادة الإلهيَّة. لذلك نشأت الدِّيانات السِّريَّة بين اليونانيين تُعلِّلُ وتعِدُ مريديها بالنِّجاة من مصائب الحياة وبالسَّعادة في الأخرى، وبعد الموت النَّجاة واللحاق بالآلهة[4]، وبهذا وجد اليونانيون الدِّيانات السِّريَّة الغذاء الرُّوحي الذي افتقدوه في الآلهة الأوليمبيَّة[5].

مما تقدَّم يمكن لنا أنْ نبرز أهم الفروق بين الدِّيانات السِّريَّة والآلهة الأوليمبيَّة كما يلي:

أنَّ الدِّيانات السِّريَّة كانت تستهوي الأفراد أما العبادات الأوليمبيَّة فقد كانت خاصة بالجماعة، وكانت الأولى تتسع لكلِّ فردٍ سواء أكان حرًّا أم عبداً، أمَّ العبادات الأوليمبيَّة فإنَّها لم تكن تقبل إلاَّ أعضاء المجتمع. وكانت الأولى تُبشِّرُ بتعاليم البعث والميلاد من جديد، أمَّا العبادات الأوليمبيَّة فلم تكن تُبشِّرُ بشيءٍ بل كانت مختصَّة بتكريم أعضاء المجتمع الخالدين الذين لا تدركهم الأبصار. فكانت مذاهبها الدِّينيَّة مختلفة اختلافاً كليًّا[6].

بسبب هذا كله وجدت الدِّيانات السَّريَّة طريقها إلى الانتشار بين اليونانيين وأصبح لها أتباع كثيرون في جميع البلاد اليونانيَّة.

1 – 3 – 4 – أهم عقائد الدِّيانة السِّريَّة: وتتلخص فيما يلي:

- ✓ عذاب "ديونيسوس زجريوس"[7] الابن المقدَّس وموته وبعثه.

---

[1] – أرلوند توينبي: **تاريخ الحضارة الهلينيَّة**، تر: رمزي عبده جرجس، مُرا: صقر خفاجة، **ط.1**، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، 1963م، ص.64.

[2] – أرنولد توينبي: المرجع السَّابق، ص.64.

[3] – نفسه.

[4] – يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة اليونانيَّة**، المرجع السَّابق، ص.6.

[5] – أرنولد توينبي: **مختصر دراسة للتاريخ**، تر: فؤاد مُحمَّد شبل، مُرا: شفيق غربال و أحمد عزت عبد الكريم، **ج.1**، **ط.2**، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م، ص.44.

[6] – هـ. د. كيتو: **الإغريق**، تر: عبد الرَّزاق يسري، مُرا: مُحمَّد صقر خفاجة، **ط.1**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962م، ص.19.

[7] – **ديونيسوس**: اسمه اللاتيني هو "باخوس". وهو إله الخمر، وهو ابن "زيوس" جاء سفَّاحاً من "سيميلية" وهي من البشر بنت "كادموس" ملك "طيبة". **ينظر**: جورج سارتون: **تاريخ العلم**، المرجع السَّابق، **ج.4**، ص.308. **وينظر أيضاً**: علي عبد الواحد وافي: **الأدب اليوناني القديم**، المرجع السَّابق، ص.16 – 133.

✓ أنَّ النَّاس جميعاً سوف يبعثون في حياة مستقبلة يثابون فيها على أعمالهم أو يعاقبون.

✓ أنَّ البشريَّة كلُّها ملوثة بشيء من الخطيئة الأولى وذلك نتيجة لاعتقادهم أنَّ الجبابرة الذين قتلوا "ديونيسوس" هم الذين تناسل منهم الآدميون، وعقابهم على هذه الخطيئة هو أنَّ الرُّوح تُسجن في الجسم كأنَّها في سجن أو قبر، ولكن في وسع بني الإنسان أنْ يُعزُّوا أنفسهم بأن يعرفوا أنَّ الجبابرة قد أكلوا "ديونيسوس" وأنَّ كلَّ إنسان ينطوي لهذا السَّبب في روحه على جزء من الألوهيَّة الخالدة[1].

✓ أنَّ الرُّوح تذهب بعد الموت إلى الجحيم حيث يُحاسبها آلهة العالم السُّفلي على أعمالها. وكانت التَّرانيم والطُّقوس ترشد المؤمنين بها إلى ما يجب أنْ يتبعوه في هذا الحساب النِّهائي، فإذا حُكم على الميت بأنَّه مذنب فإما أنْ يُعاقب عقاباً شديداً، أو أنَّ الرُّوح تولد مرَّة بعد مرَّة لتحيا حياة أسعد من حياتها الأولى أو أشقى منها حسب طهارتها الأولى أو عدم طهارتها، ويتكرر هذا المولد مرَّة بعد مرَّة حتى تتطهر الرُّوح من ذنوبها تطهيراً تامًّا فيسمح لها بالدُّخول إلى النَّعيم[2].

✓ كان أصحاب هذه الدِّيانة يقومون ببعض الطُّقوس المعبِّرة عن هذه العقائد فكانوا يتناولون في عشاء رباني جماعي لحم ثورٍ نيئاً، والذي يُمثِّلُ في اعتقادهم "ديونيسوس"، إحياءً لذكرى قتل الإله وأكل لحمه، وامتصاصاً للجوهر المقدَّس من جديد[3].

✓ ومن طقوسهم أيضاً: التَّطهير بالاستحمام باللبن، أو بالماء مُضافاً إليه مادة بلون اللبن[4].

هذا إلى جانب الاحتفالات الدِّينيَّة التي كانت تقام على هيئة طقس مقرر لابد من الإتيان به، وكان الهدف منها أنْ يجعلوا أنفسهم أطهاراً بهذه الاحتفالات التي تعمل على التَّطهير من ناحية وتجنبهم من الدَّنس من ناحية أخرى[5].

ثالثاً– خلاصة واستنتاجات:

من خلال ما تقدَّم يمكن الوصول إلى التَّالي:

- أنَّ الدِّيانة اليونانيَّة مثلها مثل أيِّ ديانة قديمة انطلقت من عبادة قوى الطَّبيعة، ثمَّ تطورت في مبانيها ومدلولاتها.
- أنَّ الصُّورة الأولى من الدِّيانة اليونانيَّة كانت هي الدِّيانة الرَّئيسيَّة لدي اليونان.
- بعد استلاء الآخيون على بلاد اليونان نشروا الآلهة الأوليمبيَّة وأصبحت هي الدِّيانة الرَّئيسيَّة التي تدين بها الأشراف والأغنياء، بينما ظلَّت الصُّورة الأولى هي دين الفقراء والبسطاء.
- بعد هذين الصُّورتين ظهرت الدِّيانة السِّريَّة وانتشرت بين اليونانيين من جميع الطَّبقات، وأصبحت هي الدِّيانة المسيطرة والأكثر ازدهاراً، وزاد من نشاطها وازدهارها اختلاط الشَّرق بالغرب قبل عصر "الإسكندر الأكبر" بقليل وبعده، حيث وجد اليونانيون أنَّ الدِّيانات السِّريَّة منتشرة بين الشَّرقيين انتشاراً واسعاً. وعليه فقد أخذ اليونانيون بعض الأديان الشَّرقيَّة ومزجوها بدياناتهم.

---

[1] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.169.

[2] – ول وايريل ديورانت: **قصة الحضارة**، المرجع السَّابق، **مج.2**، **ج.1**، ص.344.

[3] – يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة اليونانيَّة**، المرجع السَّابق، ص.7.

[4] – المرجع نفسه.

[5] – برتراند رسل: **تاريخ الفلسفة الغربيَّة**، المرجع السَّابق، ص.43.